مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

شعر الإمام الدردير:
دراسة بلاغية نقدية

محمود أحمد محمد سلامة

باحث بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2021.60971.1047

- تاريخ الاستلام: ١ فبراير ٢٠٢١ م
- تاريخ القبــول: ٢٤ فبراير ٢٠٢١ م

مجلة كلية الآداب بقنا – العدد 52 (الجزء الثاني) لسنة 2021

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة **ISSN: 1110-614X**

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الالكترونية **ISSN: 1110-709X**

موقع المجلة الالكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

شعر الإمام الدردير: دراسة بلاغية نقدية

إعداد

محمود أحمد محمد سلامة

باحث بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

mahmoud668855@gmail.com

الملخص العربي:

إن مدارسة التراث، ومعرفة ما يحويه من درر وكنوز يعد من الأهمية بمكان، إذ إنه يحمل في طياته العديد من العلوم والمعارف التي تخدم البحث العلمي، وتدفع به إلى الإمام. من هنا أردت بعون الله وتوفيقه أن أخوض غمار البحث في آثار ومؤلفات علم من الأعلام وواحد من أشهر العلماء والمشايخ في تاريخ الأزهر، ألا وهو الشيخ الدردير، وهو من أهل الفصاحة والبيان، له الكثير من المؤلفات الغنية بالأساليب البلاغية، المتميزة برصانة العبارة، ولطف الإشارة، وجمال الصور، وروعة الأسلوب، وحسن السبك، وجودة النظم، فلقد كان عالماً في علوم العربية كأحسن ما يكون العلماء. ولما كان النقد الأدبي هو الكشف عن مواطن الجمال أو القبح في الأعمال الأدبية وتفسيرها وتحليلها تحليلا دقيقا، والكشف عن مواطن القوة والضعف فيها وبيان قيمتها ودرجتها عن طريق الفهم والموازنة، فهو يجمع بين روح العلم وروح الفن، ويرتبط بالبلاغة ارتباطا قويا، ومن المعلوم أن البلاغة هي لب العربية وتاجها وجوهرها؛ لذلك حاولت أن ألقي الضوء على: شعر الإمام الدردير دراسة بلاغية نقدية، من خلال تناول بعض أعماله الشعرية مثل "منظومة أسماء الله الحسنى"، وتحدثت عن حياة الشيخ، وعن مفهوم الشعر والإبداع، وقدمت شرحا مختصراً لبعض الأبيات من المنظومة، موضحاً جماليات الإبداع الشعري لديه.

الكلمات المفتاحية: شعر، الإمام، الدردير، دراسة، بلاغية.

حياة الشيخ الدردير

نسبه وكنيته ولقبه:

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن الدردير أبي حامد العدوي، وينتهي نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ المصري، الأزهري، الخلوتي، فاضل من فقهاء المالكية وشيخهم، صوفي متكلم، مشارك في بعض العلوم، تولى مشيخة الطريقة الخلوتية، كما تولى الإفتاء في مصر، هو العالم العلامة، أوحد وقته في الفنون العقلية والنقلية، شيخ أهل الإسلام وبركة الأنام، له كلمات حسنة العبارة وبديعة الحقيقة والاستعارة، تدل على أنه قطب الفضائل وفرد الأفاضل." (١)

كنيته: (أبو البركات) كني الشيخ أحمد بذلك رغم أنه لم يولد له أولاد ذكور، فلم تكن له سوى بنت واحدة ماتت في حياته، ولعل تلك الكنية ترجع إلى اشتهاره بالصلاح والتقوى بين الناس، وظهور الكرامات على يديه رآها من حوله، وفيوض بركاته على من حوله وخدماته لهم فكني أبو البركات.

لقبه: (الدردير) بفتح الدال الأولى وكسر الثانية بينهما راء ساكنة، وكانت هذه اسما لأحد زعماء قبيلة من العرب مشهورة، وردت على بني عدي في ليلة اتفق أن ولد فيها جد سيدي أحمد فسمي الجد باسم زعيم القبيلة تفاؤلا، وأصبح هذا الاسم لقبا للأسرة." (٢)

مولده ونشأته:

ولد أبو البركات ببني عدي ـ كما أخبر هو عن نفسه ـ سنة (١١٢٧هـ) بمحافظة أسيوط بصعيد مصر، وكان والده محمد الدردير رجلا عالما جليلا بالقرآن الكريم، عاملا بعلمه، كثير السكوت بعيدا عن لغو الكلام، وكان لسانه لا يفتر عن الذكر، يقرأ القرآن أو يستغفر الله، أو يصلي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وصفه ابنه أبو البركات بقوله:

"كان الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ رجلا صالحا عالما متقنا للقرآن، فقد بصره في آخر عمره، فاشتغل بتعليم الأطفال كتاب الله تعالى، فحفظ القرآن على يديه خلق كثير، وكان يعلم

الفقراء حسبة لله تعالى لا يأخذ منهم صرافة ولا غيرها، بل ربما واساهم من عنده، وكان كثير السكوت لا يتكلم إلا نادرا، ووِرده في غالب وقته صلاة سيدي عبد السلام بن مشيش ـ رضي الله عنه ـ وكان يبشرني في صغري بأن أكون عالما مات رحمه الله شهيدا بالطاعون سنة (١١٣٨هـ) وكان عمري نحو عشر سنين." [٣]

هكذا نشأ الشيخ الدردير في وسط جو من الصلاح والتقوى، وفي وسط جو من العلم والمعرفة، وأخذ في بواكير حياته يسمع القرآن ويتعلمه كتابة وحفظا، وكانت عناية والده به شديدة، وكان يرى فيه بداية عالم جليل ببنيانه على أسس قوية من القرآن الكريم، لقد غرس والده فيه مكارم الأخلاق، وسار به في طريق الله عقيدة وسلوكا، ولما انتقل إلى الرفيق الأعلى انتقل وهو مطمئن على بشارته لابنه بأن يكون عالما.

فنشأ الفتى يتعلم من علماء الأزهر وينهل من علمهم في شتى العلوم، حتى أصبح فتى يشار إليه في العلم، وشيخا يشار إليه في السلوك، وكان لابدّ أن يحتلّ المكان الذي يليق به، فحينما توفي الشيخ على الصعيدي نظر الناس هنا وهناك ليجدوا من ينصبونه مكانه، فما وجدوا غير تلميذه النابه الشيخ الدردير، وعين الشيخ أحمد الدردير شيخا على المالكية ومفتيا على المذهب المالكي، وناظرا على وقف الصعايدة، وشيخا على طائفة الرواق، وشيخا على أهل مصر بأسرها حسا ومعنى في مذهبه، فقد كان رحمه الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصدع بالحق.[٤]

أقرانه ومعاصروه:

عاصر الشيخ كثيرا من العلماء الذين كان يشار إليهم بالعلم والفضل منهم الشيخ البناني صاحب "حاشية على شرح المحلى في أصول الفقه"، والشيخ الأمير صاحب "انشراح الصدر في بيان ليلة القدر" "وحاشية على شرح الشذور"، والشيخ البيلي صاحب "منظومة في مسائل الفقهية على مذهب الإمام مالك"، "والمنح المتكلفة بحل ألفاظ القصيدة الموسومة بمورد الظمآن في علم البيان"، والشيخ الورثيلاني صاحب المؤلفات الكثيرة. [٥]

تلاميذه:

لقد تبوأ الشيخ الدردير مكانة رفيعة بين أرباب العلم وأهل المعرفة، فقد تتلمذ على يد الشيخ كثير من طلاب العلم الذين أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء كالعلامة الدسوقي (ت١٢٣٠هـ) صاحب حاشية الدسوقي على المطول، وحاشية على الشرح الكبير على مختصر خليل وتولى منصب الافتاء، والشيخ مصطفى العقباوي (ت١٢٢١هـ) أيضا كان من تلامذة الإمام وهو صاحب تكميل أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، والشيخ أحمد الصاوي (ت١٢٤١هـ) صاحب شرح الخريدة البهية وهو من أجل الشروح، وقد قرأه على الشيخ الدردير في حياته يقول الصاوي: "وتلقيناه عنه بالحال والقال، وقامت بنا الدواعي إلى قراءته وخدمته كما أمرنا بذلك الأستاذ مناما المرة بعد المرة". (٦)

وله أيضا الأسرار الربانية على الصلوات الدرديرية، وشرح على منظومة الدردير لأسماء الله الحسنى، وحاشية على شرح الدرير لأقرب المسالك لمذهب الإمام مالك".(٧)

إن هؤلاء ليسوا فقط تلاميذ الشيخ الدردير في العلم، وإنما أيضا تلاميذه في الطريق إلى الله فلقد أخذ الصاوي ـ مثلا ـ الطريقة الخلوتية على يد الشيخ الدردير وصار من أكبر خلفائه، وأخذ السباعي الطريقة على يديه، وأصبح الوارث لسره والخليفة بعده بزاويته، كما قام هؤلاء التلاميذ بشرح مؤلفات الشيخ وتأثروا بفكره وسلوكه.

أخلاقه وصفاته:

لقد تمتع الشيخ بصفات سامية وخلال حميدة، يقول عنه الجبرتي: فإنه كأنه رحمه الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصدع بالحق، ولا يأخذه في الله لومة لائم، وله في السعي على الخير يد بيضاء". (٨)

كما منح الله الشيخ ذكاء وفطنة منذ نعومة أظفاره فقد تمكن من حفظ القرآن في سن مبكرة لم يتجاوز العاشرة، وما وصل إليه من الرتبة العالية في العلم وتقلده منصب الافتاء، وتصرفه فيما عرض عليه من مواقف بين الشعب والحكام تصرف الحكيم.

مؤلفاته:

١. الخريدة البهية: وهي عبارة عن منظومة في العقيدة الإسلامية مع شرح لها، وقد تناولها البحث بشيء من التفصيل والدراسة.

٢. أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك: يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب في الفقه المالكي، ولقد اقتطفه من ثمار مختصر الإمام خليل بن إسحاق الجندي(ت٧٧٦هـ)، وكان منهج الشيخ في هذا الكتاب الاقتصار على القول الراجح عند العلماء أثناء اختلافهم.

٣. الشرح الصغير على أقرب المسالك: وهو تبسيط وتيسير للكتاب السابق، وما زال هذا الكتاب يدرس إلى الان في المعاهد الأزهرية.

وفاتــه

بعد رحلة طويلة دامت أكثر من سبعين عاما بين تعلم وتعليم، قضى شيخنا الجليل نحبه وانتقل إلى جوار رب كريم في السادس من ربيع الأول سنة إحدى ومائتين وألف هجرية (١٢٠١هـ)([٩]) ووري في مثواه الأخير في مشهد مهيب، ودفن بزاويته التي أنشأها بخط الكعكين في مواجهة رواقي الشام والأفغان، وقد أقامت وزارة الأوقاف بجواره مسجدا تلقى فيه الدروس على مدار العام، ويحفظ فيه القرآن.

الإبداع الشعري لدى الإمام الدردير

مفهوم الشعر والإبداع:

مفهوم الشعر:

من المعلوم أن للشعر بنية مفارقة لسائر الخطابات الأخرى، لذلك تعددت وتنوعت تعاريفه، كل حسب خبرته وكل حسب تجربته في الحياة، كيف لا وهو نشاط إنساني يترجمه الشاعر من خلال التجوال في خلجات نفسه وما يدور في مشاعره، ويمثل به قومه، فلو تتبعنا المسار المعجمي للشعر لوجدنا له عديد المفردات: القريض[١٠]، الصنعة، العلم[١١]، وغيرها، وهذا التعدد لازمه تعدد أوسع في آراء النقاد العرب فمن بين الذين عرفوا الشعر نجد:

"الجاحظ" الذي أورده بعد حديثه عن المعاني المطروحة في الطريق حيث قال: "فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[١٢]، ويعرفه أيضا "ابن سلام" في قوله: " للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأُذُن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يَثقَفه اللسان."[١٣]

مفهوم الإبداع:

لقد وقف العديد من النقاد منذ طليعة الفكر النقدي وقفة مطولة في تحديد ما يجعل الشاعر يبدع معاني غير مسبوق بها ويختار لها ألفاظا تناسبها، فهو الذي "يشعر بما لا يشعر به سواه فإن افتقد هذه الصفة فليس بشاعر وإن أتى بكلام موزون مقفى"[١٤] فلن تطرب له أذان ولن يسحر به وجدان، فربما توعى بها أذهان من ناحية النظم التعليمي فقد قال "النبي صلى الله عليه وسلم": "إن من البيان لسحرا"[١٥] لشدة تأثيره على جمهور المتلقين وقال أيضا: "إن من الشعر حكمة."[١٦]

وبالنظر في مؤلفات الإمام الدردير وجدنا أنَّ مؤلفاته اللغوية لا تكاد تخلو من عملية الإبداع الشعري على المستويين الشعري والنثري، وفيما يلي بيان لما تحتويه كتبه من إبداع شعري.

إن الشيخ الدردير –رضي الله عنه– كان عالما متبحرا واسع الثقافة غزير المعرفة ضرب بسهم وافر في جميع العلوم الدينية واللغوية التي كانت تدرس في الأزهر الشريف في عصره: فقد درس السيرة النبوية، وكتب باستفاضة وإلمام في الإسراء والمعراج، كما كتب في الفقه المالكي، وعلم التوحيد، والتفسير، والحديث والبلاغة.

والناظر في الأدب الصوفي للشيخ الدردير– يجد أنه يتنوع بين النثر والشعر وهو إما صلوات على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، أو تضرع ودعاء لله تعالى، أو توجيه وحث إلى ذكر الله تعالى وفعل الخيرات ومداومة الطاعات، وذلك كله مقتبس من كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم. وكما كانت للشيخ رحمه الله من مأثورات نثرية منها ما هو علمي بحت في العلوم الشرعية واللغوية التي عرف بتأليفه فيها، التي تناولت ما يتعلق بالأدب الصوفي، وكانت عباراته من محض تأليفه كالصلوات على النبي صلى الله عليه

وسلم، وتوجهاته لسالكي الطريق في تحفة الإخوان، فإنه رضي الله عنه ترك لنا أشعارا كثيرة جاء في مقدمتها ذلك الشعر الذي نظم فيه حقائق علم "الكلام" التوحيد وسماه بالخريدة البهية وكان في نظمه لها متأثرا بما شاع في عصره وما سبقه من تقليد نظم حقائق العلوم شعرا على نظام ما عُرف في الوزن الشعري باسم "المزدوج"، وهو عبارة عن منظومات متعددة القوافي في أبياتها، كما كان في مقدمة أشعاره التي تركها – رضوان الله عليه– تلك المنظومة التي عرفت باسم المنظومة الدرديرية في أسماء الله الحسنى، والتي نظمها تقربا إلى الله تعالى لأنه ضمن كل بيت من أبياتها اسما أو أكثر من أسماء الله الحسنى – جل جلاله–، وعدة منظومة الأسماء الحسنى سبعة وستون بيتا من بحر الطويل التام وأجزاؤه: فعولن، مفاعيلن، فعولن، مفاعيلن مرتان في كل شطر، وهي التي بين أيدينا الآن.

أولا: منظومة أسماء الله الحسنى:

معنى أن أسماء الله _ عز وجل_ حسنى أنها بلغت في الحسن والجمال الغاية، وفي الفضل والكمال النهاية، فلا يتصور حسن وكمال يماثل أو يقارب حسنها، فضلا أن يفوقها ويتعداها، وليس فيها ما يدل على نقص، بأي وجه من الوجوه، مما يدل على عظمة الرب المتسمى بها، وهو الله جل جلاله وعظم شأنه؛ فحسن الله _عز وجل_ يتضمن: حسن الاسم لفظا، وحسن الاسم معنى، وحسن من يتسمى به.

بدأ الإمام الدردير– رضي الله عنه– هذه المنظومة (منظومة أسماء الله الحسنى) بالتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وبأسرارها التي أوجد بها المكنونات دنيا وأخرى، ثم ختمها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التي هي سبب في إجابة دعاء الداعين، فيقول – رضي الله عنه– مبتدئا[١٧]:

تباركت يا الله ربي لك الثنا ... فحمدًا لمولانا وشكرًا لربنا

بأسمائك الحسنى وأسرارها التي... أقمت بها الأكوان من حضرة الغنا

فندعوك يا الله يا مبدع الورى ... يقيناً يقينا الهم والكرب والعنا

ويا رب يا رحمن هبنا معارفًا ... ولطفًا وإحسانًا ونورًا يعمنا

وسر يا رحيم العالمين بجمعنا. .. إلى حضرة القرب المقدس واهدنا

ويا مالك ملك جميع عوالمي.. . لروحي وخلص من سواك عقولنا

وقدس أيا قدوس نفسي من الهوى... وسلم جميعي يا سلام من الضنى

ويا مؤمن هب لي أمانًا وبهجة... وجمّل جناني يا مهيمن بالمنى

وجد لي بعزٍ يا عزيز وقوةٍ... وبالجبر يا جبار بدد عدونا

وكبر شؤوني فيك يا متكبر... ويا خالق الأكوان بالفيض عمنا

ويا بارئ احفظنا من الخلق كلهم... بفضلك واكشف يا مصور كربنا

وبالغفر ياغفار محص ذنوبنا... ..... وبالقهر يا قهار اقهر عدونا

وهب لي أيا وهاب علمًا وحكمةً.. . وللرزق يا رزاق وسع وجد لنا

وبالفتح يا فتاح عجل تكرمًا. .. وبالعلم نور يا عليم قلوبنا

ويا قابض اقبضنا على خير حالةٍ... ويا باسط الأرزاق بسطاً لرزقنا

ويا خافض اخفض لي القلوب تحببا... ويا رافع ارفع ذكرنا واعل قدرنا

وبالزهد والتقوى معزٌ أعزنا... وذلل بصفوٍ يا مذل نفوسنا

ونفذ بحقٍ يا سميع مقالتي .. . وبصر فؤادي يا بصير بعيبنا

ويا حكم يا عدل حكم قلوبنا... بعدلك في الأشيا وبالرشد قونا

وحف بلطفٍ يا لطيف أحبتي ... وتوجهمُ بالنور كي يدركوا المنى

وكن يا خبيراً كاشفاً لكروبنا.. . وبالحلم خلق ياحليم نفوسنا

وبالعلم عظم يا عظيم شؤوننا... وفي مقعد الصدق الأجل أحلنا

غفورٌ شكورٌ لم تزل متفضلاً... فبالشكر والغفران مولاي خُصنا

عليٌ كبيرٌ جل عن وهمِ واهمٍ... فسبحانك اللهم عن وصف من جنى

وكن لي حفيظًا يا حفيظ من البلا... مقيتٌ أقتنا خير قوتٍ وهننا

وأنت غياثي يا حسيب من الردى... وأنت ملاذي يا جليلُ وحسبنا

وجد يا كريماً بالعطا منك والرضا... وتزكية الأخلاق والجود والغنى

رقيبٌ علينا فاعفُ عنا وعافنا... ويسر علينا يا مجيب أمورنا

وياواسعاً وسع لنا العلم والعطا... حكيمًا أنلنا حكمةً منك تهدنا

ودودٌ فجد بالود منك تكرمًا... علينا وشرف يا مجيدُ شؤوننا

ويا باعث ابعثنا على خير حالةٍ... شهيدٌ فأشهدنا علاك بجمعنا

ويا حق حققنا بسر مقدس ... وكيل توكلنا عليك بك اكفنا

قويٌ متينٌ قو عزمي وهمتي... وليٌ حميدٌ ليس إلا لك الثنا

ويا محصي الأشياء يا مبدئ الورى... تعطف علينا بالمسرة والهنا

أعدنا بنورٍ يا معيدُ وأحينا... على الدين يا محيي الأنام من الفنا

مميتٌ أمتني مسلماً وموحدًا... وشرف بذا قدري كما أنت ربنا

ويا حي يا قيوم قوم أمورنا.. . ويا واجدُ أنت الغني فأغننا

ويا ماجد شرف بمجدك قدرنا.. . ويا واحدُ فرج كروبي وغمنا

ويا صمد فوضت أمري إليك لا... تكلني لنفسي واهدنا رب سبلنا

ويا قادر اقدرنا على صدمة العدا... ومقتدرٌ خلص من الغير سرنا

وقدم أموري يا مقدم هيبـةً... وأخر عدانا يا مؤخر بالعنا

ويا أول من غير بدءٍ وآخر... بغير انتهاءٍ أنت في الكل حسبنا

ويا ظاهراً في كل شيءٍ شؤونه... ويا باطنا بالغيب لازلت محسنا

ويا واليًا لسنا لغيرك ننتمي... فبالنصر يا متعالياً كن معزنا

ويا بر يا تواب جد لي بتوبة... نصوحٍ بها تمحو عظائم جرمنا

ومنتقم هاك انتقم من عدونا... عفوٌ رؤوفٌ عافنا وارأفن بنا

ويا مالك الملك العظيم بقهره... ويا ذا الجلال الطف بنا في أمورنا

ويا مقسط بالاستقامة قونا... ويا جامع فاجمع عليك قلوبنا

غنيٌ ومغنٍ أغننا بك سيدي... ويا مانعٌ امنع كل كربٍ يهمنا

ويا ضار ضر المعتدين بظلمهم... ويا نافع انفعنا بأنوار ديننا

ويا نور نور ظاهري وسرائري... بحبك يا هادي وقوم طريقنا

بديعٌ فأتحفنا بدائع حكمةٍ... ويا باقيًا بك أبقنا فيك أفننا

ويا وارثًا ورثني علماً وحكمةً... رشيدٌ فأرشدنا إلى طرق الثنا

وأفرغ علينا الصبر بالشكر والرضا... وحسن يقينٍ يا صبور ووفنا

بأسمائك الحسنى دعوناك سيدي... تقبل دعانا ربنا واستجب لنا

بأسرارها عمر فؤادي وظاهري... وحقق بها روحي لأظفر بالمنى

ونور بها سمعي وشمي وناظري... وقوِّ بها ذوقي ولمسي وعقلنا

ويسر بها أمري وقوِّ عزائمي... وزكي بها نفسي وفرج كروبنا

ووسع بها علمي ورزقي وهمتي... وحسن بها خَلقي وخُلقي مع الهنا

وهب لي بها حبًا جليلاً مجملاً. . وزدني بفرط الحب فيك تفننا

وهب لي يا رباه كشفاً مقدسا... لأدري به سر البقاء مع الفنا

وجد لي بجمع الجمع فضلاً ومنةً... وداو بوصل الوصل روحي من الضنى

وسر بي على النهج القويم موحدًا... وفي حضرة القدس المنيع أحلنا

ومن علينا يا ودود بجذبةٍ.... بها نلحق الأقوام من سار قبلنا

وصل وسلم سيدي كل لمحةٍ... على المصطفى خير البرايا نبينا

وصل على الأملاك والرسل كلهم... وآلهم والصحب جمعاً وعمنا

وسلم عليهم كلما قال قائلٌ... تباركت يا الله ربي لك الثنا

ومع أن هذه المنظومة استغاثة يجأر بها العبد الصالح إلى ربه من شر الدنيا وبلائها ويهبه ما ينفع به أحبابه الصالحين المقربين من خيري الدنيا والآخرة فإن الشيخ يرجو فوق ذلك الفضل أن يمنحه الله تعالى من القرب والصفاء وفيوض التجليات ما يستطيع أن يفهم به أسرار تلك الأسماء الحسنى فيصبح عبدا ربانيا يحظى في حضرة القدس بصحبة أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

دراسة عروض شعر الإمام الدردير

أولاً: الأوزان

لما كانت أغراض الشعر شتى وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس. فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصدا هزليا أو استخفافيا

وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد. .." [١٨]

وقد وفق الشيخ في اختيار الأوزان لقصيدته أيما توفيق.

منظومة أسماء الله الحسنى:

من المعلوم أن الوزن الشعري كالوعاء، " أو المحيط الإيقاعي الذي يخلق المناخ الملائم لكل الفعاليات الإيقاعية في النص، وهو في ذلك كالأرض الصالحة للزراعة التي لا تكتسب شكلها إلا من خلال النوع المزروع فيها، وهو يخلق منها صورة على نحو خاص." [١٩]

وقد اختار الشاعر لهذه المنظومة البحر الطويل؛ لكي يساعده طول التفعيلات في البحر على طول زمن الدعاء وكثرته، وحلاوة المناجاة ولذتها، وبث آلام الشوق وحرقتها، وكثرة الذكر وعذوبته، كل هذه أمور لا ينهض بها من بحور الشعر إلا هذا البحر.

وزنه:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن.

عروضه: مقبوضة

عروض هذا البحر، أي تفعيلته التي تقع في آخر الشطر الأول من البيت، لا تستعمل تامة، بل يحذف منها الحرف الخامس، أي الياء الساكنة فتصبح مفاعيلن مفاعلن.

وحذف الخامس الساكن له في العروض اسم اصطلاحي هو: القبض، وتسمى التفعيلة التي وقع فيها القبض: مقبوضة. [٢٠]

ضربه:

وضرب هذا البحر، أي تفعيلته التي تقع في آخر الشطر الثاني من البيت، قد يكون مقبوضًا في قصيدة أو غير مقبوض في أخرى.

وإذا جاء البيت الأول من القصيدة مقبوض العروض والضرب معًا لزم أن يستمر ذلك في بقية أبياتها. (٢١)

ولنأخذ على ذلك مثالا من المنظومة:

بأسمائك الحسنى وأسرارها التي ..... أقمت بها الأكوان من حضرة الغنا

بأسما ئك لحسنى وأسرا رها لتى

//٥/٥ //٥/٥/٥ //٥/٥ //٥//٥

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

فالعروض مقبوضة وتلك علة لازمة طول القصيدة .

أقمت بهالأكوا ن من حض رة لغنا

//٥/ //٥ /٥ /٥ / /٥ /٥ //٥//٥

فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن

وكذلك الضرب مقبوضة وهذه أيضا علة لازمة طول القصيدة .

ومن الملاحظ في هذه القصيدة قلة الزحافات أو ندرتها في حشو البيت . فيما قمت بتقطيعه من أبيات . ، ولعل هذا يرجع إلى صدق اتصال قائلها بالله جل وعلا وصدق مناجاته.

شرح منظومة أسماء الله الحسنى:

وهي المنظومة التي عرفت باسم المنظومة الدرديرية في أسماء الله الحسنى والتي نظمها – رضوان الله عليه– تقربا إلى الله تعالى عملا بقوله تعالى: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

فَادْعُوهُ بِهَا"[٢٢]، لأنه ضمن كل بيت من أبياتها اسما أو أكثر من أسماء الله الحسنى – جل جلاله–وعدة منظومة الأسماء الحسنى سبعة وستون بيتا من بحر الطويل التام وأجزاؤه: فعولن، مفاعيلن، فعولن، مفاعلين مرتان في كل بيت.

بدأ الإمام الدردير– رضي الله عنه– هذه المنظومة (منظومة أسماء الله الحسنى) بالتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وبأسرارها التي أوجد بها المكنونات دنيا وأخرى، ثم ختمها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التي هي سبب في إجابة دعاء الداعين، فيقول – رضي الله عنه– مبتدئا:

تباركت يا الله ربي لك الثنا... فحمدًا لمولانا وشكرًا لربنا

ومعنى (تباركت) أي: تعاظمت في البركات أي الخيرات المتزايدة في الدنيا والآخرة لأن تلك الخيرات ناشئة منك يا الله، (ربي لك الثنا) الرب هو سيد الخلق المربّي للعباد، والقائم بأمرهم، والمصلح والمدبر لشؤنهم[٢٣]، كأنه قال يا مالكي ومصلحي ومربي، (لك الثنا) الثناء هو: الوصف بالجميل[٢٤] فيشمل كل كمال، وقوله: (فحمدًا) منصوب بفعل محذوف و(شكرًا) معطوف عليه تقديره فأَحْمِدُ حمدًا وأَشْكُرُ شكرًا (لمولانا) متعلق بحمدٍ ومعناه: مالكنا وولي نعمتنا في الدنيا والآخرة وقوله (لربنا) متعلق بشكرٍ.

والحمد معناه في اللغة: الثناء الجميل، ويكون في الحمد معنى الشكر وفيه معنى المدح وهو أعم من الشكر، لأن الحمد يوضع موضع الشكر، ولا يوضع الشكر موضع الحمد[٢٥].

أما الحمد اصطلاحا: فهو فعل ينبئ من تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أو غيره[٢٦]؛ والشكر في اللغة: الوصف بالجميل على جهة التعظيم على النعمة من اللسان والجنان والأركان، أما اصطلاحا: فهو صرف العبد كل ما أنعم به عليه إلى ما خلق لأجله[٢٧]، فمراد المصنف بالحمد والشكر في هذا البيت ما هو أعم من المعنى اللغوي والاصطلاحي في كلٍ من الحمد والشكر.

فالشيخ هنا أثنى على الله ووصفه بكل جميل وأنه تعالى مستحق الحمد والشكر والثناء الحسن، وتلك بداية موفقة للشيخ، ولا يخفى على أرباب المعاني وأهل اللغة ما في

البيت من براعة استهلال وحسن افتتاح، وفيه إشارة إلى أن الإمام الدردير يطلب من ربه في هذه القصيدة تزايد البركات والخيرات عليه، فيقول: "[٢٨]

بأسمائك الحسنى وأسرارها التي...أقمت بها الأكوان من حضرة الغنا

(بأسمائك) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من قوله ندعوك في البيت الذي يليه، والتقدير: فندعوك مقسمين عليك يا الله ومتوسلين إليك بأسمائك الحسنى... إلخ. والأسماء جمع اسم وهو اللفظ الدال على ذات المسمى وأسماؤه تعالى كثيرة قيل ثلاثمائة وقيل ألف وواحد وقيل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا على عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن كل نبي تمده حقيقة اسم خاص به مع إمداد باقي الأسماء له لتحققه بجميعها، وقيل ليس لها حد ولا نهاية لأنها على حسب شئونه في خلقه وهي لا نهاية لها[٢٩].

و(الحسنى) إما مصدر وُصِفَ به، أو هي مؤنث (أحسن) فأُفْرِدَ لأنه وصفٌ جمَعَ ما لا يعقل فيجوز فيه الإفراد والجمع، وَحُسْن أسمائه تعالى لأنها لدلالتها على معانٍ شريفة هي أحسن المعاني لأن معناها ذات الله وصفاته، وهي إما ذاتية كاسم (الله) و(الرحمن)، أو صفاتية كـ(الحي) و(العليم) أو فعالية كـ(المحيي) و(المميت)[٣٠] فكأنه قال: أدعوك مقسمًا عليك بكل اسم من أسمائك ومعلوم أنها كلها حسنى ويشهد له قوله تعالى "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا"[٣١] وقوله تعالى: "قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى"[٣٢] ، ويحتمل أن يكون المراد بها خصوص التسعة والتسعين التي دعا بها المصنف في النظم؛ وإنما خصها لما ورد فيها من الأحاديث منها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٣٣]، ومعنى أحصاها أي: عدها وحفظها ويتضمن ذلك الإيمان بها والتعظيم لها والرغبة فيها والعبرة في معانيها، وهذا عين ما أراده الناظم.

وفي هذا البيت يجأر الشيخ ويلجأ إلى الله بالدعاء والتقرب إليه بأسمائه الحسنى العليا وصفاتها العلية وبركتها، فهي أحسن الأسماء وأجل المعاني، وهي ما اتصف بها سبحانه وتعالى كالمحيي والمميت والنافع والضار والعليم والرحيم(إلخ..)، فبفضلها أقام الأكوان، وهنا توسل إلى الله وتقرب يدل على ضعف العبد والتجائه إلى الله وأنه الفقير إليه سبحانه وتعالى وهذا حسن أدب مع الله.

فندعوك يا الله يا مبدع الورى... يقينًا يقينا الهم والكرب والعنا

أي فنسألك بذل وانكسار، (يا الله) وقد قدم اسم الله عز وجل على باقي الأسماء لأنه الاسم الجامع فجميع الأسماء مندرجة فيه[٣٤]و(المبدع) الموجد للشيء على غير مثال سبق[٣٥]. و(الورى) أي الخلق وقوله (يقينًا) معمول لـ(ندعوك) لتضمنه معنى نسألك أي نسألك امتزاج القلب بالتوحيد بحيث لا يخالط قلب العبد المؤمن غير الله سبحانه وتعالى، ومن كان كذلك لا يأتيه هم أو حزن، وقوله (يقينا) أصله يوقينا فقد وقعت الواو بين عدُوَّتيها فحذفت، أي: يمنعنا ويصرف عنا الهم وهو ما يعتري الشخص من مكروه في الدنيا أو الآخرة، و(الكرب) شدة الهم و(العناء) التعب من أي شيء، فمعنى البيت: نسألك بذل وانكسار يا واجب الوجود المستحق لجميع المحامد يا موجد المخلوقات علما يقينيا يمنعنا ويصرف عنا الهم... الخ، وإسناد الوقاية لليقين مجاز عقلي من إسناد السبب للمسبب، و(الواقي) هو اسم من أسماء الله تعالى، ومعناه معنى الحفيظ يقول تعالى: "وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[٣٦]، وقال تعالى: "وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"[٣٧].

وقد أورد الناظم اسم الله تعالى (الواقي) ليعلم كل مكلف أن الله سبحانه هو الواقي على الإطلاق، ويسعى العبد في الأواقي لنفسه ولغيره امتثالا لأمر ربه في قوله تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا "[٣٨]، وذلك بامتثال الطاعات واجتناب المنهيات، وذلك لا يكون إلا عن تقوى من الله. "[٣٩].

وهنا أيضا تظهر براعة الشيخ وحسن انتقائه للألفاظ والكلمات الدالة على المعنى، فهو هنا يسأل الله مبدع هذا الكون وفاطره أن يحميه ويحفظه ويمنع عنه كل مكروه وهم وحزن، وأن يرزقه اليقين والقرب منه سبحانه، فيقين العبد وحسن ظنه بالله وقربه منه وخضوعه له يقيه ويحميه ويصرف عنه كل ما يعتريه من سوء وشر ومكروه. وهنا تظهر براعة الشيخ وقدرته على انتقاء اللفظ المناسب؛ فقد وردت كلمة "يقينا" كاسم بمعني القرب واللجوء إلى الله، وكفعل بمعنى الحفظ والسلامة والوقاية، وتلك براعة وحس.

الدراسة البلاغية في شعر الإمام الدردير "منظومة أسماء الله الحسنى":

من المعلوم أن دراسة الأبنية والأشكال الأسلوبية بمعزل عن الهدف الذي ينبغي أن تؤديه يجعل الدراسة لا روح فيها ولا حياة؛ كما أن هذا الفصل بين الأسلوب والهدف يذهب بالجمال الذي رامه المبدع، ولا يكاد يبقي منه بقية!

فالعلاقة بين المستقبل والنص تحول النص إلى جسد لفظي يحمل طاقات متنوعة من التأثير في حال نجاحها تستطيع أن تغزو نفسية المستقبل من خلال تدافق الآفاق بينهما.

والدارس لشعر الإمام الدردير يراه خير معين لحفظ كثير من العلوم مثل منظومة أسماء الله الحسنى، والتي صاغها على سبيل الدعاء في عبارة رشيقة تشنف الآذان، وأسلوب رائع يأسر القلوب.

منظومة أسماء الله الحسنى:

يبدو أن الإمام الدردير كان في سياحة روحية طوفت به في آفاق لا يعلمها إلا الله تعالى استجمع فيها من مظاهر الجمال والجلال ما شحن قلبه، وغمر حسّه وغلب على ظاهره وباطنه، فانساب لسانه دفقا يترجم عن تعظيم فياض في ابتهالات شعرية ضارعة فيقول – رضي الله عنه– داعيا(٤٠):

تباركت يا الله ربي لك الثنا. .. فحمدًا لمولانا وشكرًا لربنا

بأسمائك الحسنى وأسرارها التي. .. أقمت بها الأكوان من حضرة الغنا

فندعوك يا الله يا مبدع الورى. .. يقينًا يقينا الهم والكرب والعنا

ويا رب يا رحمن هبنا معارفًا ... ولطفًا وإحسانًا ونورًا يعمنا

وسر يا رحيم العالمين بجمعنا... إلى حضرة القرب المقدس واهدنا

أولا: الأسلوب:

١ ـ المستوى الصوتي: يضفي استعمال الشاعر المبدع لموسيقى الأصوات قدراً من التأثير والإيحاء، وذلك من خلال تآلف الأصوات وانسجامها، ومن ثمّ، نجاحها في نقل الصورة الفنية والتجربة الشعرية، ولاشك في أن دراسة الصوت في لغة الشعر تلقي الضوء على أمر مهم وهو: الكشف عن أهمية الأصوات في لغة الشعر بوصفه يمثل تعبيراً لغوياً عالياً يخاطب العقل والنفس، لإيصال الانفعال إلى المتلقي والتأثير فيه، ففي مجال البنية الصوتية للمفردة فإن الإمام الدردير كان موفقا في توظيف الكلمات ذات الأصوات اللغوية المؤدية للمعنى، بصفة عامة من ذلك:

استعماله للصائت الطويل (الألف) الذي يساعد الشاعر في مد الصوت بالكلمة وتفخيمها في (يا، الثنا، لمولانا.....) والذي كان ظاهرة صوتية بارزة في هذه الأبيات؛ ليعبر بمداته المتتابعة عن اندفاع الأشواق، وتلهفه على استجابة دعائه، فهو كالمستغيث يرفع يديه إلى السماء لعله يحظى بالقرب.

كما يتضح لنا أن الشاعر في هذا النص قد استثمر أصواتا مكررة لغرض الحكاية الصوتية التي طبعت الأبيات دلالات تتضامن مع مضامينها وتقوي مقصديتها، فتفشى صوت اللام في سطح النص يعد مظهرا أسوبيًا مائزًا، وهو يضفي على القصيدة نغمًا واضحًا من التفخيم والإجلال، وموسيقى هادئة متناغمًا مع الأصوات المكررة الأخرى (كالراء والباء والتاء والكاف والسين والفاء والثاء) وهي أصوات أسنانيّة لثويّة وهي قريبة من الشّفتينِ، مما زاد عذوبة الإيقاع، وطريقة الشاعر في تكوين تجمعات صوتية يجدها التحليل ميزة أسلوبية واضحة في النص فضلا عن منحه وحدة موضوعية.

وأول ما يقرع الآذان في هذه القصيدة التعبير بالفعل (تبارك) في صورة اشتقاقه مما "يؤذن بإظهار الوصف على صاحبه المتصف به مثل: تثاقل، أظهر الثقل في العمل، وتعالل، أي أظهر العلة، وتعاظم: أظهر العظمة، وقد يستعمل بمعنى ظهور الفعل على المتصف به ظهورا بينا حتى كأن صاحبه يظهره، ومنه: تعالى الله: أي ظهر علوه، أي شرفه على الموجودات كلها، ومنه تبارك أي ظهرت بركته" (٤١): فالدردير يرجو أن تعم بركة الأسماء الحسنى كل داع أو سامع لهذه القصيدة.

والتعبير ب(نا) المتكلمين في كل دعاء يوحي بانكساره وخضوعه وشدة رجائه.وتكراره للفظ (حضرة) مرتين تشير إلى عشق الصوفي أن يكون دائم الحضور مع الله جل وعلا.

وقد أحدث التنوين (فحمدًا، شكرًا، يقيناً، معارفاً، لطفًا، إحسانًا، نوراً) جوا موسيقيا يجذب العقول وتميل إليه النفوس، كما يعكس حال الشاعر من الأنس والانبساط حال الذكر.

والمد في القافية (لربنا، الفنا، العنا، يعمنا، اهدنا) يمنح الدعاء رنة ونغمة رخية وعذوبة صوتية تناسب جو الدعاء والابتهال.

٢. المستوى التركيبي:

نلاحظ استخدام الشاعر للأساليب الإنشائية فقد استخدم النداء (يا الله مرتين، يا مبدع، يا رب، يا رحمن، يا رحيم) والنداء غالبا ما يسبق الدعاء وهنا تفوح منه رائحة المحبة والتعظيم والخشوع لله جل وعلا، وقد استخدم الشاعر (يا) التي ينادى بها البعيد مع أقرب الأقربين عز وجل "استقصارا منه لنفسه واستبعادا لها من مظان الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله تعالى ومنازل المقربين هضما لنفسه وإقرارا عليها بالتفريط في جنب الله تعالى مع فرط التهالك على استجابة دعوته والإذن لندائه وابتهاله." (٤٢)

كما عبر بالفعل الأمر (هبنا، سر، اهدنا) لغرض الدعاء يقدمه مرة على النداء وتارة يقدم النداء عليه؛ ليتعاونا في إظهار معاني الخضوع والرغبة، وآثر الدعاء بالفعل (هب) على غيره . مع كثرة المطلوب بعده معارفا، لطفا، إحسانا، نورا . لأن الهبة إحسان محض ليس في مقابلتها شيء يكون عوضا للواهب.

وفي التعبير بأسلوب الخطاب بلاغة آسرة فإنه يقتضي القرب ويناسب المناجاة.

ومما زاد من روعة الأسلوب تقديمه لضمير الداعين (هبنا، سر بنا، اهدنا) على المفعول وهو ذات الدعاء " أملا في الإجابة، وطمعا في الرحمة، وتصويرا لأشواق النفس حين تضع آمالها على باب الكريم المنان." (٤٣)

كما نلحظ في قوله (لك الثنا) قصرا طريقه التقديم فالثناء الحقيقي له وحده جل وعلا فهو مصدر كل خير.

كما أن التنكير في (حمدا، شكرا، يقينا، معارفا، لطفا، إحسانا، نورا) يفيد التعظيم لشأن هذه المرادات، فالشاعر يريدها على قدر المسئول جل وعلا، لا على قدر السائل، فعطاء الله لا حدود له. وقوله: (فحمدا لمولانا وشكرا لربنا) إظهار في موضع الإضمار تلذذا وأنسا بذكر الله جل وعلا. وتعريف المسند إليه بالموصولية في قوله: "وأسرارها التي أقمت بها الأكوان " لتفخيم شأن هذه الأسماء وتعظيمها.

ولفظة (المقدس) في قوله: "حضرة القرب المقدس" جاءت احتراسا، والاحتراس هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه [٤٤]، فلما ذكر حضرة القرب قد يتوهم السامع أنه قرب مكاني، جاء بلفظ المقدس ليدفع هذا الوهم، فالله تعالى لا يحيط به مكان، والاحتراس مظهر من مظاهر فطنة المتكلم وحرصه على صيانة كلامه من أن يفهم منه ما لا يريد، مبالغة في الحيطة والحذر، ولزوما للدقة في تحرير البيان.

وزاد من جمال الصورة التعبيرية المجاز العقلي[٤٥] في قوله (يقينا يقينا الهم والكرب والعنا) فاليقين لا يقي من هذه الأمور؛ لأن الواقي والحافظ إنما هو الله، إلا أن اليقين سبب في رفع هذه الأمور فإسناد الوقاية إلى اليقين مجاز عقلي علاقته السببية، وفى المجاز هنا إيجاز بديع ومبالغة في توكيد فاعلية السبب، فاليقين يسكن القلب، وإذا سكن القلب فلا يكون هم ولا كرب ولا عناء. والواقع أن إسناد الأفعال إلى أسبابها يكثر في الكلام كثرة فائقة ويدل على براعة المتكلم وبلاغته.

ثانيا الصورة البيانية:

ومما تمم به الشاعر إبداعه حين رسم صورة رائعة في قوله: "وسر... بجمعنا إلى حضرة القرب" حيث شبّه التمسك بالطاعة والمسارعة إلى الخدمة بالسير في طريق بجامع الوصول إلى المأمول في ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله (سر)، وتكمن بلاغة الاستعارة في كونها تجسد طريق الوصول إلى الله جل وعلا، "فالاستعارة ليست حركة في ألفاظ فارغة من معانيها ولا تلاعبا بكلمات، وإنما هي إحساس وجداني عميق، ورؤية قلبية لهذه المشبهات التي تشكلت في الكلمة المستعارة." [٤٦]

ففي قوله "بأسمائك الحسنى وأسرارها التي أقمت بها الأكوان": استعارة مكنية حيث شبه أسماء الله الحسنى وأسرارها بالركائز والدعائم التي تقام عليها الأكوان؛ حيث أتى بالمشبه، وحذف المشبه به، وسر جمالها التجسيم.

وقوله: "يقينا يقينا الهم والكرب والعنا" استعارة مكنية حيث شبه اليقين وهو حسن الظن بالله بمعين ومنجي، وشبه الكرب والعنا بعدو؛ وأتى بالمشبه وهو اليقين، وحذف المشبه به وهو العدو، وسر جمالها التشخيص.

قوله: "بجمعنا" كناية عن موصوف وهم أهل الطريقة الخلوتية وأتى بلفظة (الجمع) دون أهل الطريق أو غيره من الألفاظ الصريحة؛ ليؤكد على فائدة الجمع في الطاعات وأنه يعلو بالهمم ويعين على الوصول فالناجي يأخذ بيد أخيه.

ثالثا: الموسيقى والقيمة البديعية:

إن القارئ لهذه القصيدة يشعر مع أول لفظة (تباركت يالله) أن القصيدة ستكونُ فيما يخص الذات العلية من مدح ورجاء وثناء وهذا ما يسميه البلاغيون ببراعة الاستهلال فقد بدأ الشاعر بما فيه إلماحٌ إلى المقصود من النّص الأدبي، وهذا إبداعٌ يَجْذبُ الانتباه، ويأسِرُ المتلَقِّي، مع حُسْنِ سَبْكٍ، وعذوبة لفظٍ، وصحَّةِ معنىً.

كما نلحظ أن التناسب ومراعاة النظير هو السمة الغالبة على هذه الأبيات، فتأمل التناسب بين (الثناء والحمد والشكر) وبين (الهم والكرب والعنا) وبين (اللطف والإحسان والنور) وبين (سر، اهدنا) ارتباط وتلاؤم وكأن كل لفظة تنادي أختها كالتوأمين والنظير لنظيره، ويعد التَّناسب من أشهر المبادئ وأقدمها في تفسير الجمال وتعليله، حيث كان الانسجام هو السّمة التي اتخذت مرادفا للجمال، وعبّرت عن معيار الإعجاب بأعمال الفنّ الجذّابة.

ويأتي الجناس في قوله "يقيناً يقينا" وما له من وقع موسيقي خلاب له عظيم الأثر في نفوس المتلقين، فالكلمة الأولى وقعت بمعنى الثبات والرسوخ (اسم)، والثانية فعل بمعنى الوقاية والحفظ، وتشابه ألفاظ التجنيس تحدث بالسمع ميلا تتشوق الناس إلى سماع اللفظة الواحدة إذا كانت بمعنيين، وتتوق إلى استخراج المعنين المشتمل عليهما ذاك اللفظ فصار للتجنيس وقعا وفائدة.

كما نلحظ الموسيقى الداخلية التي اشتملت عليها الأبيات في ألفاظ: (فحمدا لمولانا/ وشكرا لربنا) والتي جاءت على وزن واحد وما فيها من صورة موسيقية رائعة كان لها قدر كبير يزيد من قيمة الشعر الجمالية.

نتائج البحث:

توصل البحث إلى عدة نتائج تميز بها إبداع الإمام الدردير في شعره أوجزها فيما يلي:

١.ظهر واضحا جليا من خلال هذه الدراسة أهمية الكلمة، ودورها الحيوي في البناء الشعري، وأثرها الفعَّال في التعبير عن الأفكار والمشاعر والأحاسيس، مما يسلط الأضواء على صنيع البلاغيين المتأخرين بها وإهمالهم لدراستها وحديثهم المقتضب عنها في مقدمة علم البلاغة؛ ولذلك كان ما جنته هذه الدراسة من معانٍ ودلالات، وما أباحت به الكلمة فيها من أسرار وإيحاءات خيرَ دليلٍ وأعظم برهان على أهمية التوجه بالدرس البلاغي نحو الكلمة التي يعتبر البحث فيها "من أدق بحوث النقد الأدبي؛ لأن الكلمة في النص هي التي تهدينا إلى كل آفاقه ومنها نبدأ، فإذا لم نحسن درسها وفهمها عجزنا عن دخول عوالمه وكان عملنا ضلالا وضياعا، وهذه حقيقة لا ينكرها منصف"(٤٧)، فقد جاءت ألفاظ الشيخ في غاية الجزالة والقوة ومناسبة لما يريد إيصاله إلى النفوس من معنى.

٢.ظهور السمات الأسلوبية الخاصة بالشيخ والتي كثرت في شعره، وترددت فيه، كما نرى استخدامه لبعض الألفاظ التي استخدمها كثيراً وعرفت به فلم يخلو نص في هذه الدراسة من ألفاظ التصوف واستخداماته الرائعة، مما يعكس قدرته على تملك أدوات اللغة وتوظيفها توظيفاً فنياً لا يخرج عن الغرض الذي جاءت فيه.

٣.شاع الأسلوب الإنشائي في منظومة أسماء الله الحسنى، كالنداء والأمر والنهي لإظهار معاني الخضوع والخشوع والدعاء، تعبيرا عن دفئ المشاعر وهمر الأحاسيس.

٤.كثرة مجئ الفعل المضارع بصورة واضحة في منظومة أسماء الله الحسنى، والمضارع أمسُّ رحماً بهذا المقام، لأنه في سياق دعاء يقتضي التكرار، وينبغي أن يظل صاحبه مستحضراً لمعاني المعية، كما أن الدعاء أمر غيبي مستقبلي، يناسبه المضارع بدلالته على الاستقبال.

٥.جاء التناسق الإيقاعي في شعره ليمثل عنصراً بارزاً من عناصر تكوين الصورة وتجميلها وتزيينها، فالحق أن الشيخ قد استثمر النغم والوزن ووظفهما من أجل إخراج الصورة الإخراج الطيب، وجعل الموسيقى الداخلية فى البيت تتعانق مع الموسيقى الخارجية الناشئة من البحر والقافية في تنسيق وترتيب وحسن جمال.

٦. التناسب التام، والانسجام الكامل بين الكلمات والمعاني التي وردت في شعره، وكذلك دقة الشيخ في اختياره لألفاظ متوائمة، واختيار الأفعال المناسبة للمعني المراد تقريره، فمراعاة النظير كان سمة رائعة.

٧.تأثر الشيخ في بعض صوره بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مما يدل على عاطفته الدينية الجياشة التي كانت تمكنه من الاقتباس منهما.

٨.شكل الجناس إحدى أهم الوسائل التعبيرية الإيقاعية اللفظية في شعر الشيخ وكذلك التكرار، مما منحهما الظهور كسمة أسلوبية، وشريحة تعبيرية، لها أداؤها المتميز بالإيقاع الداخلي خاصة مع تعدد أنماطها ودلالاتها.

وبعد، فلست أدعى أنى بلغت الغاية في الوفاء بحق الموضوع، وإنما هي محاولة جادة، في استبصار مظاهر الإبداع في شعر الإمام الدردير وأدعو الله جل وعلا أن يغفر ما زل به اللسان، والقلم، وأن يرحم تقصيري، وضعفي، وصلى الله، وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

(١) عجائب الآثار للجبرتي ط/ دار الكتب والوثائق القومية ١٩٩٨م، ط/ الأولى، ج٢ص ٢٢٣، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للبيطار ط/ دار صادر بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٦م ج١ص١٨٥، الأعلام للزركلي ط/دار العلم للملايين ط/١٥: ٢٠٠٢ م. ج١ ص٢٤٤

(٢) أبو البركات سيدي أحمد الدردير د/ عبد الحليم محمود ط/ مكتبة الإيمان ٢٠٠٦م.ص٢٨

(٣) الشرح الصغير على أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك للشيخ الدردير ت/ مصطفى كمال وصفي ط/ دار المعارف بدون تاريخ. ج١ ص٧

(٤) عجائب الآثار للجبرتي ٢/ ١٤٧.

(٥) شجرة النور الذكية في طبقات المالكية لابن مخلوف .ط/ دار ابن عرفة التونسية. ١٤٧، ٣٤٤، ٣٦٢

(٦) حاشية الصاوي على الخريدة البهية ص٢.

(٧) شجرة النور الذكية في طبقات المالكية لابن مخلوف.ط/ دار ابن عرفة التونسية. ص٣٦٢

(٨) عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي ج٢، ٢٢٤.

(٩))عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي ج٢ ،٢٢٤

١٠() لسان العرب، لجمال الدين بن منظور، ت/ أحمد فارس ط/ دار صادر، بيروت، 1992م (مادة شعر)

١١() قاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ،ج 02 (مادة شعر)، ص: 06.

١٢() الحيوان، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت/ الأستاذ / عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ: ص: 132.

١٣() طبقات فحول الشعراء، محمد ابن سلام الجمحي: شرح: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، ج: 10، ط: 10، 1980 م، ص: 05.

١٤() مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب، محمد طه عصر: عالم الكتب، القاهرة، 1992م، ط: 10، ص: 12.

١٥() عيار الشعر، ابن طباطبا، ص: 22.

١٦() المصدر نفسه، ص: 12.

(١٧) أبو البركات سيدي أحمد الدردير، عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ١٤٧– ١٥٠.

(١٨) منهاج البلغاء لابن حزم القرطاجنى، ط/ دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩هـ. ص٢٦٦

(١٩) العروض في أوزان الشعر العربي وقوانينه ، لحكمة فرج البدري ط/ دار البصري بغداد ١٩٦٦ م. ص٤٣

(٢٠) علم العروض والقافية : عبد العزيز عتيق ص ٣٦ الناشر: دار النهضة العربية بيروت ٢٠٠١م.

(٢١) السابق .

(٢٢) الأعراف: ١٨١.

(٢٣) تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي

المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ، ٢٣.

(٢٤) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد عرفة الدسوقي، دار الفكر، ٢٤.

(٢٥) بحر العلوم، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، دط، دت، ١٦/١.

(٢٦) تفسير سورة فاتحة الكتاب ذكرى لأولي الألباب، أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم/ المغيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ١١٥.

(٢٧) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م، ٢٠٦.

(٢٨) الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية، ويليه شرح منظومة أسماء الله الحسنى= حاشية الصاوي، أحمد الصاوي المالكي، (مخطوط)، ٩١.

(٢٩) الضياء الشمسي على الفتح القدسي شرح ورد السحر للبكري، مصطفى بن كمال الدين/ البكري، تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي، دار كتاب ناشرون، بيروت، لبنان، ٣٠/٢.

(٣٠) الضياء الشمسي على الفتح القدسي شرح ورد السحر للبكري، ٣٠/٢.

(٣١) الأعراف: ١٨٠.

(٤) الإسراء: ١١٠.

(٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (١٩٨/٣)، برقم (٢٧٣٦)، ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٣٤) جامع الأصول في الأولياء ويليه متممات كتاب جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم، ضياء الدين أحمد بن مصطفى/ الكمشخانوي المجددي، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١١٥.

(٣٥) تفسير روح البيان، البروسي، إسماعيل حقي البروسي، دار الفكر، دط، دت، ٢٧/٥.

(٣٦) غافر: ٩.

(٣٧) البقرة: ٢٠١.

(٣٨) التحريم: ٦.

(٣٩) الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية، ويليه شرح منظومة أسماء الله الحسنى= حاشية الصاوي، أحمد الصاوي المالكي، (مخطوط)، ٩٢.

(٤٠) أبو البركات سيدي أحمد الدردير، عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة،، ١٤٧–١٥٠.

(٤١) تفسير التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)١٥٨/٨ الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

(٤٢) بغية الإيضاح في شرح تلخيص المفتاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ١/ ٣٦٦ ط/ مكتبة الآداب بالقاهرة ١٩٩٧م.

(٤٣) الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم د/ صبّاح عبيد دراز ٦٧ مطبعة الأمانة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

(٤٤) بغية الإيضاح ٣/ ٢٣١.

(٤٥) من العلماء من عدّ المجاز العقلي من علم البيان كالسكاكي ومن نهج نهجه، لكن الأكثرين عدوّه من علم المعاني وهذا هو الأصح.

(٤٦) البلاغة العربية فنونها وأفنانها د/فضل عباس ط/ دار الفرقان عمان الأردن ١٤٠٥هـ،١٣٧

([٤٧])البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د/ محمد أبو موسى ط/ مكتبة وهبة بالقاهرة ٢٠٠١م. ص٤٩

المصادر والمراجع

١. أبو البركات سيدي أحمد الدردير د/ عبد الحليم محمود ٥٤، وقد طبعت الرسالة الأولى بشرح الشيخ الصاوي بالمكتبة الأزهرية ١٢٨٠هـ.

٢. الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم د/ صبّاح عبيد دراز ٦٧ مطبعة الأمانة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

٣. الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية ط/ مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة

٤. بغية الإيضاح في شرح تلخيص المفتاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ١/ ٣٦٦ ط/ مكتبة الآداب بالقاهرة ١٩٩٧م.

٥. البلاغة العربية فنونها وأفنانها د/فضل عباس ١٣٧ ط/ دار الفرقان عمان الأردن ١٤٠٥هـ.

٦. تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٧. تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي.

٨. تفسير روح البيان، البروسي، إسماعيل حقي البروسي، دار الفكر، دط، دت.

٩. تفسير سورة فاتحة الكتاب ذكرى لأولي الألباب، أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم/ المغيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

١٠. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

١١. جامع الأصول في الأولياء، ويليه متممات كتاب جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم، ضياء الدين أحمد بن مصطفى/ الكمشخانوي المجددي، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٢. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد عرفة الدسوقي، دار الفكر.

١٣. حاشية الصاوي على الخريدة البهية

١٤. الحيوان، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ.

١٥. شجرة النور الذكية في طبقات المالكية لابن مخلوف ٣٦٢.ط/ دار ابن عرفة التونسية.
١٦. الشرح الصغير على أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك للشيخ الدردير ت/ مصطفى كمال وصفي ج١ص٧ ط/ دار المعارف بدون تاريخ.
١٧. الضياء الشمسي على الفتح القدسي شرح ورد السحر للبكري، مصطفى بن كمال الدين/ البكري، تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي، دار كتاب ناشرون، بيروت، لبنان.
١٨. طبقات فحول الشعراء، محمد ابن سلام الجمحي: شرح: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، ج: ١٠، ط: ١٠، ١٩٨٠ م.
١٩. عجائب الآثارللجبرتي، ط/ دار الكتب والوثائق القومية ١٩٩٨م، ط/ الأولى
٢٠. العروض في أوزان الشعر العربي وقوانينه، لحكمة فرج البدري ط/ دار البصري بغداد ١٩٦٦.
٢١. علم العروض والقافية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية بيروت ٢٠٠١م.
٢٢. عيارالشعر، ابن طباطبا
٢٣. قاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: دار الجيل، بيروت.
٢٤. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
٢٥. مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب، محمد طه عصر: عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٢م، ط: ١٠.
٢٦. منهج البلغاء لابن حزم القرطاجني، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩هـ.

The Poetry of Imam Al-Dardir: A Critical Rhetorical Study

Mahmoud Ahmed Mohamed Salama

A Researcher at the Department of Arabic Language and Literature.
Faculty of Arts - South Valley University
mahmoud668855@gmail.com

Abstract :

Studying heritage, and knowing what it contains of pearls and treasures is of great importance, as it carries with it many sciences and knowledge that serve scientific research and push it to the Imam.

From here، I wanted، with the help and success of God، to go into the midst of researching the effects and literature of a science from the most famous and one of the most famous scholars and sheikhs in the history of Al-Azhar, namely Sheikh Al-Dardir, who is a scholar of eloquence and eloquence. And the beauty of the pictures، the splendor of the style، the good casting، and the quality of the systems. He was a scientist in the sciences of Arabic as the best of the scholars.

Whereas literary criticism is the disclosure of beauty or ugliness in literary works, their interpretation and analysis of them meticulously، and the disclosure of their strengths and weaknesses and their value and degree through understanding and balance, it combines the spirit of science and the spirit of art, and is strongly linked to rhetoric، and it is known that rhetoric She is the heart، crown، and essence of Arabia. Therefore, I tried to shed light on: Imam Dardir's creativity, a critical rhetorical study, by dealing with some of his poetic works such as "The Beautiful Names of God System"، and I talked about the life of the Sheikh، and the concept of poetry and creativity he has**.**

Keywords : Poetry , Imam , Dardir , Study , Rhetorical